مدى إمكانية ترجمة القرآن

بقلم الدكتور محمد فاروق النبهان

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

يعتبر موضوع ترجمة القرآن الكريم من اللغة العربية إلى اللغات الأخرى من الموضوعات التي يجدر بنا أن ندرسها بعناية، وأن نضع لها الضوابط الممكنة لكي تكون الترجمة أمينة صادقة معبرة، وذلك لأن الترجمة ليست مجرد مهمة يسيرة يمكن أن يقوم بها فرد، فيجتهد فيها، ويبذل جهده المستطاع في تقديم ترجمة لمعاني القرآن قد تكون بعيدة كل البعد عنْ الأهداف والمقاصد القرآنية، وقد تسهم في تشويه المعاني القرآنية...

من هذا المنطلق فإنني أعتقد أن هذا الموضوع يحتاج إلى أن يلقى عناية خاصة من المهتمين بالدراسات القرآنية، ومن المؤسسات العلمية التي تحرص على خدمة القرآن الكريم..

مدى أهمية ترجمة القرآن

ويجب أن نسلم ـ في البداية ـ بأن القرآن الكريم الذي هو كلام الله المنزل على النبي ﷺ بلغة عربية فصيحة، يشتمل على أصول ومبادىء الإسلام، العقائدية والتنظيمية والأخلاقية، وأن كل مسلم يحتاج إلى أن يتعلم تلك المبادىء والأصول، سواء كان ذلك المسلم ممن يتقن اللغة العربية أو لا ...

وإن ذلك المسلم الذي لا يستطيع فهم لغة القرآن، يحتاج إلى أن يتبع بنفسه توجيهات القرآن وأحكامه، ولا يتم له ذلك إلا بأن يكون القرآن مترجماً إلى لغته ترجمة أمينة معبرة بأدق ما يكون التعبير عن المعاني والمقاصد القرآنية..

والترجمة بهذا الاعتبار تعتبر ضرورة دينية، يدعو إليها الإسلام لكي تبلغ دعوة الله إلى الناس أجمعين. ولسنا بحاجة في هذا المجال إلى بيان مدى ما تسهم فيه ترجمة القرآن من التعريف بأحكام القرآن وتوجيهاته إلى المسلمين الذين لا يتكلمون اللغة العربية..

استحالة ترجمة القرآن :

وبالرغم من تسليمي المطلق بأهمية ترجمة القرآن إلى مختلف اللغات، فإنني أتساءل ـ بموضوعية ـ عن مدى إمكان ذلك، لا من حيث الإمكان الفعلي، ولكن من حيث إمكان ترجمة القرآن، بكل ما تشتمل عليه كلمة ترجمة من التعبير الشامل عن المعنى المراد..

إن كلمة «ترجمة» تفيد الإتيان بالكلمة البديلة المعبرة عن الكلمة الأصلية، ويصح هذا في مجال المفردات اللغوية التي تتشابه معانيها، كما يصح في مجال الجمل التي يراد بها التعبير عن المعاني ذات الدلالة البسيطة، ومع هذا .. فكثيراً ما تكون دلالات تلك المفردات مختلفة، وبخاصة في مجال التعبير عن بعض المقاصد التي لا يدركها إلا أصحاب الذوق اللغوي الرفيع، وقد يختلف هؤلاء في مدى إدراكهم لمقاصد المتكلم ولغاياته..

ويمتاز القرآن الكريم بخاصة الإعجاز البياني، الذي تحدى الله تعالى به العرب فقال:

﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين، فإن لم تفعلوا، ولن تفعلوا، فاتقوا النار التي وقودها الناس

والحجارة أعدت للكافرين ﴾[1].

وقال أيضاً:

﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾[2].

وقد تصدى العلماء لدراسة أوجه الإعجاز القرآني، ومن أهم هؤلاء الجاحظ في كتابه نظم القرآن، والرماني والباقلاني في كتابيهما إعجاز القرآن، والجرجاني في كتابه: دلائل الإعجاز، وحاولوا بيان ذلك الإعجاز من خلال منهج لغوي اختاروه دليلاً على الإعجاز...

وفي العصر الحديث تصدى بعض العلماء لموضوع الإعجاز القرآني، فلم يتابعوا منهج الأقدمين في البحث عن الجانب البلاغي واللغوي، وإنما قدموا رؤية جديدة لمفهوم الإعجاز، ومن هؤلاء الأستاذ مصطفى صادق الرافعي الذي التمس معنى الإعجاز من خلال النظم القرآني، والحركة الصرفية واللغوية التي تجري في الوضع والتركيب، والتي يهيء بعضها لبعض، ويساند بعضها بعضاً، حتى إن الحركة التي قد تكون ثقيلة في نفسها صعبة التعبير، قاسية فاقدة لمعنى الجمال. إذا استعملت في القرآن كان لها شأن عجيب، وخاصة وأنها تأتي في إطار كلمات وتعابير ومعانٍ تمهد لها، وتهيء الظروف المناسبة لتقبلها، فإذا بالتعبير يؤدي الغرض منه. في ظل إعجاز بياني لا يرقى البشر لمثله[3]..

ثم جاء الأستاذ سيد قطب بمنهج جديد، إذ التمس معنى الإعجاز من خلال التصوير الفني، الذي يمثل ـ في رأيه ـ الأداة المفضلة في أسلوب القرآن.

هذا الإعجاز الذي يعتبر من أهم خصائص القرآن الكريم. والذي أعجز العرب وهم أصحاب بلاغة وفصاحة أن يأتوا بمثله. وتلمس كبار علماء البيان قديماً وحديثاً، أن يستوعبوا بعضاً منه، لا يمكن للترجمة مهما توفرت الكفاءة فيمن تصدوا لها. أن تعبر

---

(١) سورة البقرة ٢٣ ـ ٢٤.

(٢) الاسراء ٨٨.

(٣) انظر تاريخ آداب العرب للأستاذ مصطفى صادق الرافعي جـ٢ ص ٢٣٩.

عنها، أو عن بعضها، وإذا ما حاول المترجمون أن يترجموا بعضاً منها، فإن ترجمتهم ستكون باهتة الظلال فاقدة لأية قيمة تعبيرية، أو أية دلالة مؤثرة..

وكيف يمكن للمترجم أن يترجم بصدق وأمانة تصوير القرآن الكريم لحالة من ينفرون من دعوة الإيمان في قوله تعالى: ﴿ **فما لهم عن التذكرة معرضين، كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة** ﴾[1] وهنا نلاحظ أن ملكة الخيال تصور حالة الفرار من الإيمان كما تنفر حمر الوحش من الأُسود، وكيف يمكن للمترجم أن يعبر عن تصوير الصبح إذا تنفس وانفرجت ثناياه، وتصوير الأرض الهامدة التي إذا نزل عليها المطر اهتزت وربت، والتعبير عن الرجفة التي تصيب الأرض والجبال في قوله تعالى: ﴿ **يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلاً** ﴾[2] ...

اختلاف الدلالات اللغوية للنص القرآني:

من المتفق عليه لدى علماء اللغة أن المفردات اللغوية ذات دلالات مختلفة، وأحياناً تكون تلك الدلالات متعارضة ومتباينة، وبناء على ذلك الاختلاف في الدلالات اللغوية يختلف تفسير النص القرآني، وتختلف معه الأحكام المستنبطة منه..

ولو رجعنا إلى كتب التفسير فإننا سوف نجد الاختلاف الكبير في الدلالات اللغوية للألفاظ القرآنية، ولذا فإن التفسير المأثور قد أسهم بقسط وافر في بيان بعض الألفاظ القرآنية، وتحديد المراد بها...

وبالإضافة إلى هذا .. فإن «**موضوع الدلالات**» يعتبر من أهم موضوعات علم أصول الفقه، وأكثرها دقة، لأن النص القرآني لا يمكن أن يفهم فهماً صحيحاً إلا بعد معرفة قواعد دلالة الألفاظ على الأحكام، وتلك الدلالة قد تكون مباشرة، أي يدل عليها النص بطريقة مباشرة، وقد تكون دلالة غير مباشرة، وتسمى عندئذ «دلالة الإشارة».

ويراد بدلالة الإشارة دلالة اللفظ على معنى غير مقصود، ولكنه مرتبط بالحكم الذي سيق اللفظ لإفادته، والفرق بين الحكم الثابت بالعبارة والحكم الثابت بالإشارة

---

(١) الآيات ٤٩، ٥٠، ٥١ من سورة المدثر.

(٢) الآية ١٤ من المزمل.

أن الأول قد سيق له النص بشكل مقصود، بخلاف دلالة الإشارة فإنه غير مقصود، ولكنه لازم للحكم، ويحتاج في استنباطه لقدر من التأمل..

لهذه الاعتبارات جميعاً فإنني أعتقد أن ترجمة القرآن مستحيلة من الناحية الواقعية، وغير جائزة من الناحية الشرعية، وذلك للأسباب التالية:

أولاً: استحالة اشتمال الترجمة على جميع الدلالات اللغوية والشرعية المرادة من النص القرآني، وتلك الدلالات تعتبر من أهم ما يستهدفه النص القرآني في مجال التشريع..

ثانياً: استحالة تعبير الترجمة على أي قدر ولو يسير من جوانب الإعجاز البياني للقرآن الكريم، سواء تمثلت في صور بلاغية، أو سلامة في النظم القرآني، أو في الحركة اللغوية العامة التي تجري في تركيب المفردات والجمل..

ثالثاً: عدم جواز إطلاق كلمة «قرآن» على أية ترجمة للقرآن، وعدم صحة إطلاق «ترجمة القرآن»، وإنما هي ترجمة تفسيرية لبعض ما يفهمه المترجم من معاني القرآن..

شروط ضرورية للترجمة:

لا يجوز أن تكون ترجمة القرآن خاضعة للأهواء وللإرادات الفردية ذات الأهداف المتعددة، وذلك لأن الترجمة التي لا تتوفر فيها شروط الصحة تسهم في تشويه صورة القرآن، وتقدمه إلى الناس مشوه المعالم، ركيك العبارة، جامد التعبير، لا يثير في النفس ما يثيره القرآن الكريم المعجز من آثار، ولا يترك لدى القارىء ما يتركه لدى قارئه في اللغة العربية من إعجاب..

وإن المؤسسات الإسلامية المختصة بالدفاع عن مقدسات الإسلام والغيورة على كل ما يتعلق بكتاب الله تعالى، مدعوة اليوم للتصدي للمحاولات الفردية العابثة التي استهدفت ترجمة القرآن، وأساءت للقرآن بتلك الترجمة...

وأعتقد أن من الضروري أن تتوفر فيمن يتصدى لترجمة القرآن الشروط التالية:

١ ـ أن يكون المترجم عربي اللسان، نشأة وتكويناً، لكي يكون قادراً ـ بفطرته ـ على فهم ما يشير إليه القرآن من دلالات، ومثل هذا الفهم العميق لا يمكن أن يدركه إلا

من توفرت له إمكانية تذوق اللغة العربية بكل ما يدل عليه التعبير من دلالات، وعندما أشترط أن يكون عربي اللسان، فإنني لا أعني أن يكون عربي النسب، وإنما أعني أن يكون قد عاش في بيئة عربية تمكنه من فهم النص العربي، لكي يكون مؤهلاً لتذوق النص القرآني، وفهم دلالاته، وإدراك معانيه، بكل ما يفيده النص من أبعاد، سواء في مجال الإعجاز الأسلوبي، أو في مجال التوجيه التشريعي وإقرار الأحكام..

وإنني أعرف أن كثيراً من أبناء اللغة العربية نسباً لا يملكون القدرة على فهم الدلالات العربية للنص العربي، بكل ما يملكه من طاقة في مجال التعبير أو التصوير أو التمثيل..

٢ ـ أن يكون المترجم متمكناً من معرفة علوم القرآن، عالماً بأصول الشريعة ومبادئها العامة، على وجه الإجمال لا التفصيل، وذلك لأن المترجم لا يمكن له ترجمة النص ترجمة دقيقة ما لم يكن ملماً بكل ما يتعلق بذلك النص، من أسباب نزوله، ودلالاته من حيث العموم والخصوص، عارفاً بكل المصطلحات اللغوية الواردة في القرآن، متمكناً من دلالاتها الشرعية على الأحكام المرادة بها، حتى يكون قادراً على اختيار اللفظ المعبر عن المعنى المراد..

٣ ـ أن يكون المترجم متمكناً كل التمكن من اللغة التي يريد الترجمة إليها، وذلك لكي يكون قادراً على اختيار اللفظ الملائم والمعبر، وإن المعرفة السطحية باللغة المترجم إليها تدفع المترجم إلى أن يختار مفردات قاموسية قد لا تكون دلالاتها الفعلية منسجمة في حالة التركيب مع المعنى القرآني المراد، أو مع ما أراده المترجم من أفكار..

حكم ترجمة المستشرقين:

دأب بعض المستشرقين على ترجمة القرآن إلى اللغات الرئيسية كاللغة الانجليزية والفرنسية والألمانية، وجاءت ترجمات القرآن مختلفة في دلالاتها، متباينة كل التباين في كثير من معانيها، تختلف اختلافاً واضحاً من حيث قيمتها العلمية..

وأود هنا أن أوضح أن المستشرق ليس مؤهلاً بحسب تكوينه الاستشراقي للتصدي لترجمة القرآن، وذلك لأن المستشرق ينظر للقرآن نظرة تختلف عن نظرة المسلم له، ولا يملك الغيرة الوجدانية التي تدفعه للدقة في اختيار المفردات المعبرة عن المعاني القرآنية،

فضلاً عن أن المستشرق متهم في التزامه الموضوعية تجاه الإسلام، وذلك الاتهام كفيل بأن يلقى ظلالاً من الشك حول الثقة بما يسهم به في مجال الترجمة القرآنية..

ويدخل في حكم المستشرق كل من اتهم من المسلمين، في دينه وعقيدته، لأن الترجمة أمانة، ولا يجوز أن يتصدى لها إلا من توفرت له كامل الثقة بسلامة عقيدته، وحسن خلقه، وبكفاءته اللغوية، وبجدارته للقيام بهذه المهمة الجليلة..

إنشاء مؤسسة معتمدة للترجمة القرآنية:

لا أعتقد أن ما ذكرناه من شروط يمكن أن يتوفر بدقة وموضوعية في ترجمة القرآن، والترجمة كما ذكرت هي نوع من أنواع التفسير والبيان، وفي جميع الأحوال لا يمكن اعتبارها قرآناً، لأنها ليست القرآن، وليست من كلام الله، وإنما هي من كلام البشر، ويجوز أن تصحح وتعدل بعض مفرداتها، كما يجري عليها احتمال الخطأ والصواب...

ومع هذا ... ولئلا نسمح بالعبث في ترجمة القرآن عن طريق طرح ترجمات متعددة، ربما يشتهر بعضها يوماً، فتصبح قرآناً بلغة أخرى، يتداوله عوام المسلمين ممن لم يتوفروا على قدر كاف من الوعي والنضج والإدراك .. فإنني أقترح «**تشكيل مؤسسة متخصصة معتمدة**»، تتوفر على بعض أصحاب الاختصاص اللغوي والشرعي، من المتمكنين في المعاني القرآنية، والقادرين على الترجمة الدقيقة السليمة، وتقوم هذه المؤسسة عن طريق اللجان العلمية المتخصصة بإعداد ترجمة تفسيرية للقرآن، لا أقول معبرة كل التعبير عن كل معاني القرآن، وإنما يمكن أن تكون أفضل من الترجمة الفردية التي لا يتوفر فيها ما يتوفر في الترجمة المعتمدة من إعداد سليم..

وإن مثل هذه المؤسسة ستكون مؤهلة ـ على وجه التأكيد ـ لتقديم ترجمة تفسيرية للقرآن الكريم، إلى اللغات الأخرى، لا نجد فيها من ركاكة الترجمة، وعدم الدقة فيها، ما نجده في الترجمات المتعددة التي نراها اليوم ... وأتمنى من أعماق قلبي أن تتصدى الجهات المسؤولة في العالم الإسلامي لحمل الأمانة فيما يتعلق بهذا الجانب الهام من الدراسات القرآنية، لكي توقف خطراً لا بد أن يتزايد أثره مع الزمن..

محمد فاروق النبهان

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی